**المحاضرة 4 :ازمة الحداثة في المجتمع العربي** :

كنا قد تطرقنا في الفصل الاول عن مسار الحداثة في المجتمع الغربي والذذي استطاع ان يطور ويفرز الثقافة الحداثية بفضل الجهود المعرفية والمهارتية الخاصة وتفوق الفرد على الجماعة

لقد حدد شكري عياد ازمة الحداثيين العرب في ازدواجية الانتماء والتي توضح عملية الانشطار الدائمة التي يتخبطون فيها

ان ازمة الحداثة ترجع الى ازمة في الفكر فنحن عندما نوظف مفاهيم الحداثة الغربية ذات الدلالات التي ترتبط بها داخل الواقع الثقافي الذي افرزها تحدث فوضى دلالية داخل واقعنا الثقافي اذ ان بعض المفكرين الحدثين ياخذون المفاهيم التي تتجاوب معه ويتصدون للمفاهيم التي تتنافى مع تراثه الديني والحضاري .

كذلك تطرح اشكالية اخرى تثيرها الدعوى الى الحداثة العربية هي التناقض الواضح في الحداثين العرب بين رؤاهم النهضوية التي تنطلق من التمرد على التقاليد الموروثة ورفض الحاضر المزري والواقع المتخلف

منذ نهاية القرن 19والعقل العربي يحاول استيعاب الحداثة ورافقتها مجموعة من التحولات البنيوية في صيرورة الوعي بها وجاء هذا الوعي من خلال ثلاثة اطوار

-الصد الكلي للحداثة

-الاستيعاب الاسقاطي للحداثة على الواقع العربي

-الوعي النقدي بالحداثة الغربية

وانشطر الوعي النقدي بالحداثة الى تيارين فكريين احدهما دعا الى الاخذ بالشروط التاريخية الفلسفية التي قامت عليها الحداثة الغربية لولوج المجتمعات العربية الى ازمنة الحداثية .

وتيار فكري اخر يقوم على الفصل بين روح الحداثة وتطبيقاتها بوصفها تجربة تاريخية في المجتمعات الغربية واستحالة تطبيقها في المجتمعات الاخرى مع امكلنية الافادة منها في عملية ولوج المجتمعات العربية الى ازمنة حداثية .

مفهوم التاريخانية :Historicisme كلمة من ابداع كارل فرنز سنة 1879 وقد استخدمها لتعريف فلسفة فيكو الذي اكد ان العقل البشري لا يدرك الا ما يصنع أي تلك المنشات التي تكون العالم التاريخي (العروي 2005، ص 347) ويعرفها كارل بوبر بانها البحث عن قوانين التغير الاجتماعي . انظر بودون وبوريكو المعجم النقدي لعلم الاجتماع .

التاريخانية بين المذهبية والمنهجية : تعتمد التاريخانية كما حددها عبد الله العروي على قوانين التطور التاريخي وعلى وحدة صيرورته وتتابع مجراه وعلى توارث المكتسبات الثقافية والتقنية ، وعلى فعلية دور المثقف والسياسي وهذا الخطاب هو نقد جذري للفكر التقليداني ومحاولة مفاهيمية لايلاج الفكر العربي في عصر الحداثة وفي محاولته لتشخيص الازمة العربية ومساله التاخر التاريخي يرى عبد الله العروي ان المجتمعات العربية والفكر العربيين يعانيان عموما من ثلاث ازمات :

1. ازمة تاريخية سببها المواجهة بين المجتمع العربي والغرب .وقد تمظهرت هذه المواجهة في سيطرة النموذج الاستعماري بما يحمله من انماط اجتماعية واقتصادية وثقافية متفوقة ابرزت فشل النظام العربي التقليداني .
2. ازمة المثقف تتجلى في اختلاف مواقف النخبة المثقفة من العقلانية التي تهيكل الثقافة الغربية وتتارجح مواقف النخبة العربية بين قطبي الحداثة والتقليدانية مع ما يسببه ها التارجح من مقاومة تفضي في نهاية الامر الى تغليب التقليدانية .
3. ازمة ايديولوجية ناتجة عن اختيارات سياسية واقتصادية متناقضة مستوحاة من تيارات فكرية متضاربة عموما ومن اهمها الوطنية والماركسية والليبرالية ، اضافة الى كون القرارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية يتم اتخاذها وفق ردود افعال مرتبطة بالامد القصير مفتقدة بذلك لرؤية بعيدة الامد وتتمثل ردود الافعال هذه في الهروب الى الامام او العودة الى الاصول .

ان الخظاب التاريخاني هو قبل كل شيئ نقد للتقليدانية الطاغية في المجتمع ما قبل الاستعماري .فعبد الله العروي يعتبر ثقافة هذه المرحلة ثقافة متصلبة منغلقة وبعيدة عن روح الابداع اما مكونات هذه الثقافة فهي الفقه والادب والتصوف .

-الفقيه يهتم بظاهر الامور وظيفته الافتاء في كل المستجدات والحالات المستحدثة معتمدا في الغالب اراء السلف وهي بذلك اراء تكرس التقليد.

-الادب هو من اختصاص الكتاب و رؤساء الدواوين وهو الكلام البليغ وهم اشخاص يبحثون عن الترقي الوظيفي اما انتجاتهم فهي تخلو من كل اصالة وجمالية ومن عمق المضمون.

- التصوف وهو يمثل اهم نشاط ثقافي في المجتمعات التقليدية فانه يجتاح كل المجالات الاجتماعية . ويتسم التصوف بكرامات الاولياء الصالحين ويهتم بمجال الباطن ويعتبر النقاد ان التصوف ينقل فكرا خاليا اطلاقا من أي بعد عقلاني .

على هذا الاساس يعتبرالعروي ان الثقافة السائدة في المغرب ما قبل الاستعمار وما بعده ترتكز على اسس انتاج التقليد ويقويه في نفس الوقت وفي علاقة حاملي هذه الثقافة بالواقع التاريخي الراهن الذي يمثله التقدم التقني الغربي ، فهم عاجزون عن تقديم بديل ناجع لتغيير الواقع الاجتماعي والادهى من لك سعيهم الى الدفاع عن مصالحهم الشخصية والفئوية من خلال الدعوة الى الانغلاق الثقافي ودعم التوجه الايديولوجي المحافظ وقد ادى هذا لنشر ثقافة منغلقة ومتجاوزة ، وحسب الدارسين ان هذه الثقافة تنبذ التطور التاريخي وتجهل عقلانية الازمنة المعاصرة

يظل الخطاب التاريخاني ايضا نقدا صارما للخطاب الديني الاصولي وقد حاول عبد الله العروي في تفسيره لطغيان الخطاب الاسلاموي على الحقل الرمزي اعادة هذا الخطاب الى سياقه التاريخي معتبرا ان الاسلام الجديد هو تعبير عن الازمة التي يمر بها المجتمع المغربي دون تقديم حلولا لهذه الازمة وحسبه ولاننا نعيش في مرحلة تاريخية يهيمن فيها الفكر الغربي على الانسانية جمعاء ولهذا فانه علينا استلهام المنهج الثقافي الغربي وتطويعه قصد تطوير الثقافات المحلية لذا يرفض التحليل التاريخاني حالتين

1. حالة تتمثل تبني موقف لا تاريخي مبني على رفض النسق الراهن
2. حالة موقف التماهي المفرط مع الثقافة الغربية لدرجة الاستلاب وهكذا فان الخطاب التاريخاني يرفض في الان نفسه امتياز الثقافة الغربية المهيمنة في جانبها العدواني والمتسلب وايضا التراث التقليدي من جانبه الجامد ويتبنى طريقا ثالثا يقوم على الانفتاح على الثقافة الغربية لاستيعابها انكلاقا من التجارب الثقافية المحلية .

ويرى الجابري ايضا في كون الفكر العربي المعاصر يعاني من تبعيات اللاعقلانية التي هيمنت عليه منذ العصور الوسطى والضبط مع ابي احمد الغزالي باعتباره احد كبار رجالات الفكر اللذين رسخو هيمنة اللاعقلانية عبر استحضار مطلق للاهوت في علاقة الافراد فيما بينهم وفي علاقهم مع الطبيعة وتتجلى اسس اللعقلانية في الفكر العربي المعاصر في هيمنة النموج الماضوي او السلفي وازاحة استعمال العقل ونبذ الابداع .

ويرى الجابري ان الخروج من ازمة الفكر العربي المعاصر يقتضي نهضة مؤسسة على القطيعة مع اللاعقلانية عن طريق الرجوع الى عقلانية الاغريق والى مكاسب العصر الذهبي للفكر الاسلامي وعصر الانوار الاوروبي يترجم الجابري فشل هذا الخطاب في نهاية المطاف بعدم الحسم في التناقض بين الاصالة المتمثلة في النموذج العربي الاسلامي الوسيطي والمعاصرة التي يرمز اليها النموذج الغربي تارة ان هذا المرجع يتارجح بين مرجعيتين وفكرتين متناقضتين تستدعيان الماضي العربي والحاضر الغربي تاره اخرى .

اكثر تفصيل تجدونه في احمد بوكوس ، الهيمنة والاختلاف في تدبير التنوع الثقافي .